الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People's Democratic Republic of Algeria

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة محمد الشريف مساعدية - سوق أهراس
Mohamed Cherif Messaadia University - Souk Ahras

كليّة الآداب واللغات
Faculty of Literature and Languages

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية
Laboratory of linguistic and literary studies

شهادة مشاركة.

تمنح هذه الشّهادة لـ: أحمد أمين بوعلام الله من جامعة (معسكر) نظير مشاركته (ها) في فعاليّات الملتقى الدّوليّ الافتراضيّ: " التَّفْكيرُ التّداوليُّ بَيْنَ الدَّرْسَيْنِ اللُّغَوِيَيْنِ: العربيّ والغَرْبِيّ -مَرْتَكَزَاتُ التَّنْظِير وآلِياتُ الإجراء-"، الذي أقامه مخبر الدّراسات اللغويّة والأدبيّة يوم: 20 نوفمبر 2021م، وذلك بمداخلة موسومة بـ: " المنحى التداولي في التراث العربي من خلال جهود الدكتور مسعود صحراوي ".

رئيس الملتقى

د.سليمة محفوظي

رئيس الملتقى الدولي الافتراضي: " التَّفكيرُ التداوليُّ بَيْنَ الدَّرسَيْنِ اللُّغَوِيَيْنِ: العربيّ والغَرْبِيّ -مَرْتَكَزَاتُ التَّنْظِير وآلِياتُ الإجراء "

يوم: 20 نوفمبر 2021م

مدير المخبر

مدير مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

الدكتور: عبد الرحمان مشنتل

عميد الكليّة

عميد كلية الآداب واللغات

أ.د / محمد [illegible]

المنحى التداولي في التراث العربي من خلال جهود الدكتور مسعود صحراوي

The deliberative trend in the arab heritage to Dr.masoud sahrawi.

ط/د:أحمد أمين بوعلام الله.

قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر، الجزائر.

ahmed.boualamallah@univ-mascara.dz

المحور الثالث:جهود العلماء العرب المعاصرين في التأصيل لمنهج تداولي عربي.

رقم الهاتف:06.97.16.65.37

ملخص:

لقد أسعفت التداولية المناهج اللسانية في تقصي أثر المعنى الذي استعصى على نفر من اللغويين واللسانيين على حدّ سواء،حيث تدراكت التداولية ذلك باعتبارها؛دراسة للمنجز الفعلي في حيّز الاستعمال بتفاعله مع محيطه التواصلي المكتسب، وقد كان لعلمائنا العرب القدامى منهم –وبخاصة عند الأصوليين– حظ وافر في ذلك،حيث رموا التداولية بسهام مثكلة فأصابوا كبدها كتصورهم للمقاصد،وسياق الاستعمال وظروفه الملابسة ، ،وهذا هو المنحى التداولي عن طريق ما من شأنه أن يربط المعنى بالسيّاق، وهو ماشدّ باحثينا المعاصرين وسنخصّ بالذكر منهم الباحث التداولي الجزائري مسعود صحراوي الذي اقتفى أثر المسائل التطبيقية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي محاولا تطويعه لمبدأ الدّرس اللساني التداولي.

الكلمات المفتاحيَّة : التداولية؛التداولية العربية؛المنحى التداولي؛التراث؛الحداثة.

Abstract :

Pragmatics saved the linguistic approaches in investigating the effect of meaning that eluded a group of linguists, as pragmatics was realized as; a study of the actual achievement in use by its interaction with its acquired communicative environment. Contemporaries, such as the Algerian pragmatic researcher Massoud Sahraoui, who traced the practical issues of the phenomenon of verbal verbs in the Arab

مَجلّة رُؤى فِكريّة – مَخْبَرُ البَحْثِ فِي الدِّرَاسَاتِ اللُّغَوِيَّةِ وَالأَدَبِيَّةِ – ISSN:2437-0355

heritage, trying to adapt it to the principle of the pragmatic linguistic lesson.

Key words: Pragmatics ; Arab pragmatics ; deliberative approach ; heritage ; modernity.

مقدِّمة:

في يوم ما،في مكان ما،في فجر التاريخ،أتى اليوم الذي بدأت فيه الكائنات البشرية تتحدّث إلى بعضها البعض في أشياء مختلفة،ومنذ ذلك الوقت،وبسبب ظهور اللغة المنطوقة بدأ التاريخ الإنساني،وبدأت الثقافة الإنسانية،ويحدث شيء مماثل عندما يبدأ الوليد الإنساني فهم أصوات كلام النّاس من حوله ومحاولة تقليدها،واكتساب الطفل للغة يعنيبداية الاتصالات الواسعة مع الآخرين ممن يحيطون به وممن لا يحيطون به،ويعني أيضا أنّ الطفل بدأ في تنمية ذاته، لأنه من خلال اللغةيستطيع أن يسهم بفعالية في المجتمع الإنساني.فالقدرة على استخدام اللغة كما يقول أحمد مدكور هو أساس النجاح الإنساني[1].واللغة منزل الكائن البشري ومرآة فكره، يلجأ إليها لتأكيد وجوده، وينطلق بها لتحقيق رغباته، ولكنّ المنازل تغنى بسكانها، والمرايا تصفو وتجمل بالعيون الناظرة إليها والوجوه المصوّرة عليها، فإذا هاجر السّكان أو ماتوا، خلت المنازل وافتقر غناها، فهم روحها التّي بها تحيا. وإذا قبحت العيون وشاهت الوجوه، حالت المرايا وتعكّر صفاؤها وأفسد استعدادها، فالصور المطبوعة عليها وجهها الذّي به تبدو. واللغات مواطن الشّعوب ومرايا أشواقهم، واللغة العربية موطن العرب ومرآة تفكيرهم[2]. ومن المعلوم بالضرورة أن اللغة صورة الاجتماع، وأن العرب لولا ما سبق في علم الله من أمر سيكون فيهم؛ وقدر واقع بهم، وشأن في الغيب مخبوء لهم، لما عدوا في الاعتبار الاجتماعي أن يعدوا موجودات إنسانية مهملة، كأنهم بقايا منسية من التاريخ.ومعلوم بالضرورة أنّ لكلّ لغة سيماتها ومميّزاتها الخاصة بها ويستوي في ذلك أن تكون هذه الخواص

صوتية أو صرفية أو نحوية أو أسلوبية أو على مستوى الألفاظ ودلالاتها، ومن البديهي أن تكون هذه السّمات هي جملة الفروق بين لغة وأخرى، وأن تكون الأساس الذي ينبني عليه تحديد اللغات والحكم على هوية كلّ واحدة منها وإعطاؤها اسما خاصا تنفرد به ويتعرّف إليها في كلّ الحالات. وبذلك تعدُّ اللغة منظومة متكاملة، تتكون من سلسلة متشابكة من العناصر، يؤثر بعضها في بعضه الآخر فتتكون من أصوات،وكلمات،ومركبات، وهذا ما أدّى بدراسة اللغة من وجهات مختلفة، فمن المدارس اللسانية من درسها لذاتها كالبنوية، ومنهم من درسها باتخاذها وسيلة تفسيرية للمنجز اللغوي[3] وبيان فاعليته وتعلقه بالاستعمال من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد،ومراعاة الأحوال،وفقه ملابسات الوضع والإنتاج والفهم بيان فاعلية اللغة متعلقة بالاستعمال من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد ، ومراعاة الأحوال،وفقه ملابسات الوضع والإنتاج والفهم كالتداولية.ولقد تأثّر بمنهجها بعض الباحثين العرب–كطه عبد الرحمان وأحمد المتوكّل والطبائبي ومسعود صحراوي وهو الذي سنرصده بمرصاد الدراسة وتبيان المنحى التداولي عنده–فترجموا بعض الدراسات والكتب واجتهدوا في تطويعها للدرس العربي وتطبيقها وكتبوا فيها،بيد أن التطبيقات يشوبها بعض اللبس والضعف،لأنّ منهجها غربي في مضمونه وتطبيقه،ولايمثل نسقا عاما في كلّ اللغات،ولايساوق عرف التعبير عن القصد في العربية،ولايعبّر تعبيرا دقيقا عن العناصر البلاغية في الخطاب العربي،فقد عجز عن استيعاب الأبعاد البلاغية والقصدية في النص العربي[4].

1–في ظلال التداولية

لا جرم أنّ التداولية منهج غربي حديث في البحث اللغوي تأثّر بالفلسفة الواقعية المادية في بحث أعيان الأشياء وما يتعلّق بها،وهدفها القصد اللغوي،وقدتأثر البحث الغربي بالتيارات الفلسفية وبطبيعة اللغات الغربية وعرفها في التعبير وارتباطها بثقافتها

الغربية الحديثة التي تختلف عن الثقافة العربية،وقد شهدت الدراسات اللسانية الحديثة في أوربا تطورا سريعا يتوازى مع تطورها الحضاري،ومن أبرز التيارات الحديثة"مذهب النحاة الجدد" وهو المذهب اللساني الذي ظهر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وقد عالج قضايا اللغة مستخدما المنهج التاريخي ومتأثرا بمعطيات المنهج التجريبي الذّي أثّر في بعض العلوم النظرية،وكان له أثر مباشر في انتقال الفلسفة البنوية إلى اللسانيات الحديثة،فأصبحت البنوية أكثر شهرة في الدراسات اللسانية من الفلسفة وقد أصبح المنهج البنوي الذّي أسّس له سوسير في علم اللسان في صدر القرن العشرين أكثر المناهج اللسانية شيوعا،ويعدّ هذا المنهج اللساني إسقاطا مباشرا للفلسفة البنوية التي عرفت من خلاله،ويعدّ أيضا صدى المنهج التجريبي وجهود النحاة الجدد الذين استلهم منهم سوسير بعض أفكارهم في البحث اللساني،ولعلّ أبرزها العناية بالبنية اللغوية والنظام اللساني للبنية والمعالم الواقعية بيد أنّه لم يقف عند المستوى الصوتي وحده الذّي تبناه النّحاة الجدد،ولم يتبن قوانين لسانية عامة صارمة لا تقبل الاختلاف وتستوي فيها كلّ اللغات،بل قبل التعدّد والاختلاف،واهتم باللهجات التي أهملها المحافظون قبله،وقد استطاع أن يتعرّف على أنظمة اللغات وعناصرها البنوية والثابت والمتغيّر فيها وعلاقة اللهجات باللغة الأم غير أنّه استبعد المعنى وعلاقة اللغة بالمجتمع والعالم الخارجي،وقد نشأ في داخل البنوية اتجاهات تأثرّت بمحيطها وبالتيارات الفلسفية الجديدة،والأساس الجامع بينها دراسة الشكل اللساني أو البنية.وقد ظهرت اتجاهات لسانية أخرى حديثة اهتمت بالعناصر التي استبعدتها البنوية كالدلالة والسياق الخارجي أو محيط اللسان والاستعمال، وتعد التداولية ردّ فعل مضاد لتعصّب البنوية للبنية اللسانية، فقد درست استعمال اللسان في السيّاق

ومقاصده النفعية العملية وردّ فعل المتلقي،وتعدّ هذه الجوانب خارج البحث البنوي،وقد تأثرت التداولية اللسانية في هذا بالفلسفة الوضعية التي تأثرت بمعطيات المنهج التجريبي،فعاد علم اللسان إلى الفلسفة مرة ثانية في هذا الاتجاه اللساني،والحقيقة أنّ علم اللسان لم يستقل عن الفلسفة كما زعم سوسير،فهو نفسه تبنى الفلسفة البنيوة وتأثّر بالعلوم التجريبية في دراسة اللسان،بيد أنّه درس اللسان علما مستقلا بعد أن كان ضمن مقدمات علوم الفلسفة والاجتماع والنفس، ولكنّ اللسانيات التداولية قامت على نظرية فلسفية واقعية(النفعية العملية)،وقد اجتاحتها قضايا الفلسفة والمنطق والاجتماع والنفس والاتصال وبعض عناصر العلوم التجريبية،وقد نتج عن هذا التفاعل اتجاهات أخرى داخلها ألفت بين مزيج من الدراسات اللسانية الموروثة أي التقليدية والعلوم التي تأثرت بها التداولية،فتنوع أسلوب المعالجة اللسانية فيها،ومن ثمّ تختلف أدواتها ومفاهيمها باختلاف المنحى العلمي،ويعدّ هذا التداخل والتنوع سببا رئيسا في عدم وضوح منهجها ومذاهبها التحليلية،فهي تتسع لمجالات البحث والتحليل في هذه العلوم،ومازال العمل في تطويرها ومعالجة قضاياها مستمرا[5].

2–مفهوم المقاربة التداولية

من المعلوم أن المقاربة التداولية هي تلك المنهجية التي تدرس الجانب الوظيفي والتداولي والسياقي في النص أو الخطاب، وتدرس مجمل العلاقات الموجودة بين المتكلّم والمخاطب مع التّركيز على البعد الحجاجي والإقناعي وأفعال الكلام داخل النّص بمعنى أنّ التداوليات هي ذلك "العلم الذي يدرس المعنى،مع التركيز على العلاقة بين العلامات ومستعمليها والسياق،أكثر من اهتمامها بالمرجع أو بالحقيقة،أو بالتركيب"

وتهتم التداوليات أيضا بالمرجع والإحالة التي أهملها سوسير بحصره العلامة في الدّال والمدلول،ومن ثمّ ترفض المقاربة التداولية في مجال الأدب والنقد التركيز على البنيات الشكلية والجمالية،دون مساءلة الأفعال الكلامية والمقصدية الوظيفية.

والحاصل كما يرى جميل حمداوي أنّ المقاربة التداولية تدرس العلامات في علاقة مع مستعمليها،ومن ثمّ ترتكز اللغة على ثلاثة مكونات ضرورية ومتكاملة حسب شارل موريس وهي :التركيب،والدلالة والوظيفة،زيادة على ذلك فللغة مظاهر ثلاثة تتجلى في :المظهر الخطابي،والمظهر التواصلي،والمظهر الاجتماعي، وترصد المقاربة التداولية بمرصاد الدراسة المظهر الثاني وهو الجانب التواصلي في اللغة الطبيعية،ممّا ألزمها حتما أن تركن إلى عدّة تخصصات كالتداولية التحليلية، والنفسية، والاجتماعية، والنصيّة، والسوسيولغوية ما جعل التداولية تدرس أيضا الإشاريات والمقصديات وأفعال الكلام،والوظيفية،والسياق والإحالةوالمرجعية،والحجاج اللغوي،والإقناع، والحوارية .

3–المقاربة التداولية في العالم العربي

يمكن الحديث عربيا عن مجموعة من الدّارسين والباحثين الذين اهتموا بتداوليات النَّص والخطاب الأدبي،ومعظم هذه الدراسات أنجزها باحثون مغاربة وجزائريون وتونسيون، ومن بينهم محمّد مفتاح الذّي تحدّث عن بعض المفاهيم التداولية في كتابه(سيمياء الشّعر القديم[6]) كالمقصدية عند حازم القرطاجني.والمعاني الجمهورية،والوضوح،واحترام العقدة بين المتكلّم والمخاطب،وهي ما يسمّيه التداوليون بمبدإ التعاون بما يعنيه من ، قواعد :الكميّة (الاستقصاء) ،والكيفيية(الصّدق)، والعلاقة،والجهة[7]،وقد اعتمد محمّدمفتاح على تصورات حازم القرطاجني[8] لإصدار إحكامه من منطلق أنّ الحكم على الشيء فرع عن تصوّره،وفرانسوا ريكاناتي،وأوزوالد دوكرو الذّي عرّف مبدأ الكميّة بقوله:"إنّ هذا القانون يحتّم على المتكلّم أن يعطي على الموضوع المتحدّث عنه المعلومات الأساسية التّي يمتلكها والتي من شأنها أن تفيد

المخاطب". كما خصّص محمّد مفتاح البعد التداولي بالفصل السابع في كتابه(تحليل الخطاب الشعري)حينما تحدّث عن التفاعل بين المتكلّم والمخاطب،ومن ثمّ فقد ذكر بعض التيارات التداولية كتيار موريس،وتيار فلاسفة أكسفورد،وتيار التوليديين،وتيّار السرديين،ومن هناك فقد اهتم تيار موريس بذاتية اللغة والبعد التواصلي والسياقي، كما عند بنيفنست،ولاينس،وأرويكشوني،وتمّ التركيز على المعينات والزمان والمكان،وتعابير الجهة،وألفاظ العاطفة والتقويم[9]. أمّا تيار فلاسفة أكسفورد فيتهم بالتركيز على أفعال الكلام، ومن رواده أوستين، وسورل. فقد ميّزا بين الأقوالالخبرية،والأقوال الإنجازية(الأمر،الوعد،التصريح،والمنع،والحث،والتحريض،والنهي،والرّدع...وهلمّ جرا). وقد أشار إلى قواعد المحادثة عند كرايس،وقوانين الخطاب عند دوكرو وشروط النجاح عند سورل،أما تيار التوليديين فقد ركّز على النّص في علاقته بالسيّاق،ويمثله كل من أوهمان صاحب كتاب(الأدب كفعل)،وفان دايك في دراسته(السيّاق التداولي:النّص كأفعال كلامية)،كما أورد تيارا آخر،سمّاه بتيّار السرديين الذي اهتم بمنطق السرد،كما هو الحال عند السيميائين الذي يمثلهم:كريماص[10].

ومن جهة أخرى،فقد اهتم أحمد المتوكّل بالبعد التداولي التوليدي في العديد من كتبه،ولاسيّما في كتابه (الوظائف التداولية في اللغة العربية) و(اللسانيات الوظيفية:مدخل نظري)متأثرا في ذلك بفان دايك وهاليداي،وقد ركّز في مشروعه الوظيفي على الأدوار النحوية والأدوار الدلالية،والأدوار التداولية.كما اهتم مُحَمَّد خطابي بالجانب التداولي في كتابه الموسوم بـ(لسانيات النص) الذي تحدّث فيه عن مبدأي الاتساق والانسجام في ضوء تصوّرات لسانيات الخطاب،ومنظور الذكاءالاصطناعي،وتصورات التداولية الخطابية والسياقية كما عند:فان دايك،وهاليداي،وحسن رقية،وبراون،ويول،وجري سميث،وروجي شانك، إضافة إلى إيراد إسهامات العرب في هذا المضمار وبخاصة في عنصري النصية الاتساق والانسجام، كما اعتمد في تطبيقه على قصيدة أدونيس(فارس الكلمة الغريبة) واتخذّها

مطية لبلوغ أربه من خلال تحليله اللساني النّصي لها ليجلو أبعادها النصيّة والخطابية والتداولية والسياقية[11]،كما نولي وجهنا شطر الشرق العربي فنجد إسهاما تداوليا موسوما ب(إستراتيجية الخطاب،مقاربة لغوية تداولية)للباحث السعودي عبد الهادي بن ظافر الهشري[12]، ذاكرا فيه مفهوم المنهج التداولي واستراتيجة الخطاب،مركّزا على العوامل المؤثرة في هذه الاستراتيجية كالسطلة والمقاصد،وختم كتابه بذكر آليات الإقناع والحجاج على حدّ سواء[13].كما لا يخفى أنّ هشام الطبائبي قد أشار إشارات ذكية في كتابه(نظرية الأفعال الكلامية) الذي حاول فيه التأصيل لظاهرة الأفعال الكلامية ناهلا من تراث الأصوليين محدثا ربطا منهجيا قائما على أساس ابستمولوجي لربط التراث بالحداثة وهذا الأخير قد استفاد منه الباحث الجزائري مسعود صحراوي وأصل لظاهرة الأفعال الكلامية عند علمائنا العرب تأصيلا يكاد يكون منقطع النظير وهو ما سنرصده من خلال سفره النفيس (التداولية عند العلماء العرب)[14]الذي أسعف به جمهرة من الباحثين في وقت عسير غير يسير وهو ما سنخصه بالذّكر ونبيّن المنحى التداولي الذّي ارتضاه لنفسه.

4-آثار مسعود صحراوي في الدرس التداولي العربي

لقد عرف العلماء العرب في العصور القديمة فكرة التداولية بمفهومها العلمي، وناقشوها في كثير مما وصلنا من تراث غني، وهم وإن لم يؤصلوا لمصطلح التداولية بلفظه فقد توافروا على كل ما تهتم به من مظاهر لغوية تنبثق من سياقات الاستعمال اللغوي الدائرة في مستوى التخاطب الفعلي وترجموا لمباحث كثيرة متصلة بها في باب الخبر والإنشاء، ولم يكن الاهتمام بالتداولية مثار اهتمام اللغويين من النحاة وعلماء البلاغة فحسب بل اعتنى بها عناية شديدة كل من علماء المنطق والفلاسفة والأصوليين والفقهاء.

أثارت القضية الدكتور مسعود صحراوي فتتبعها في مظانها من أصول العلم العربي ورصد مباحثها في مؤلف قيم قدمه للقراء بعنوان (التداولية عند العلماء العرب) نص

في العنوان على إحدى غاياته وهي أنه (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي).. وقد صرح مبكرا بمفهوم التداولية عنده فهي "علم جديد للتواصل الإنساني يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ويتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي ومن هنا تكون جديرة بأن تسمى : علم الاستعمال اللغوي"[15] .

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن منشورات دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/ لبنان، صيف 2005م، جاء الكتاب في 240 صفحة من الحجم المتوسط ، ومما حفز الكاتب لخوض هذا المجال حاجة طلاب الدراسات العليا العرب لمؤلف بالعربية في هذا المجال، فما صدر كان بلغات أجنبية غمطت الحق التاريخي لجهود العلماء العرب فكان لا بد من جهد يجلي حقائق تاريخية ويبسط مباحث هذه النظرية برؤية عربية تجمع بين إحاطة واسعة بالتراث العربي المدون عبر حقب تاريخية متصلة إلى عصرنا الحديث كما تكتنز معرفة واعية بما كتبه الآخر من غير العرب وهو ما تمثل به الدكتور مسعود صحراوي فهو أستاذ أجيال في جامعة الأغواط (الجزائر)، مطلع على الثقافات الأجنبية الحديثة اطلاعا معمقا إلى جانب ما تشكل في تكوينه المعرفي من وعي بالتراث ناجم عن قراءة متصلة بعلوم عديدة ومباحث فريدة كشفتها فصول كتابه الخمسة ، سبقتها مقدمة أجمل فيها دوافعه وأهدافه[16]، وختم بخاتمة بلورت الدرس في الأفعال الكلامية عند العرب وغيرهم.[17]،وخص الفصل الأول بالمفاهيم التداولية التي تمثل نقطة مركزية لشبكة من المعلومات التي تتفاعل العلاقات القائمة فيما بينها وبين بقية الحقول المعرفية الأخرى، فتناول مفهوم الفلسفة التحليلية، ومهام التداولية، ونظرية الملاءمة، والفعل الكلامي، ثم السياق التاريخي للمفاهيم التداولية، وجعل عنوان الفصل (الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر)[18] .

وجاء الفصل الثاني مجليا معايير التمييز بين الخبر والإنشاء في التراث العربي[19]،ثم تحول في الفصل الثالث إلى تقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء[20] وصنف في

الفصل الرابع الأفعال الكلامية عند الأصوليين ففصَّل في الأفعال الكلامية المنبثقة عن الخبر والأفعال الكلامية المنبثقة عن الإنشاء ثم عرج على ألفاظ العقود والمعاهدات[21] أما الفصل الخامس وهو الأخير فقد كان أكثر الفصول طولا[22]،ذلك أنه يبحث في الأفعال الكلامية عند النحاة وكشف عن العلاقة بين النحو والدلالة في جهود النحاة العرب ودفع عن الدرس النحوي القديم ما وصم به من كونه درسا تجريديا يتناول التركيب منفصلا عن بحث المعنى لذا جاءت مباحث الفصل لتكشف عن درس النحاة لظاهرة الإسناد وعلاقته بالظواهر الأسلوبية، واهتم الكاتب بتجلية المبادئ التداولية في الدرس النحوي مثل مبدأ "الإفادة" وعلاقته بظواهر التعيين والإثبات والنفي، والتقديم والتأخير، ومبدأ "الغرض والقصد"، وحظيت الأفعال الكلامية في الأساليب النحوية باهتمام الكاتب فتناول بالدرس التأكيد والقسَم والإغراء والتحذير والدعاء والاستغاثة والندبة، ثم عرض للأفعال الكلامية في حروف المعاني. فالمؤلف بحقّ أبان الأفعال الكلامية بدقة متناهية لا نكاد نجد لها مثيلا عند غيره من الباحثين الذين تناولوا التداولية في التراث اللغوي العربي بالدراسة ؛ فقد جلّى المبهم ، وفتح كثيرا مما استغلق في كتب الأصوليين من مفاهيم وتطبيقات.وفي الأفعال الكلامية عند النحاة أشار المؤلف إلى عدم إغفال القدماء العرب عن دراسة المعاني والأساليب والأغراض والمقاصد من خلال البحث في الإسناد وعلاقته بالظواهر الأسلوبية ، و ذلك من خلال التعريف بأهمّ المبادئ التداولية المعتمدة في التقعيد اللغوي ، كمبدأ "الإفادة" ، ومبدأ "الغرض والقصد" وكشف علاقتهما بظواهر لغوية كالتعيين (التعريف والتنكير) ، والإثبات والنفي، والتقديم والتأخير، وما ينجرّ عنهما من أساليب نحوية مختلفة كالتأكيد ، والقسَم ، والإغراء والتحذير ، والدعاء ، والاستغاثة والندبة...وغيرها ، إضافة إلى ما يتعلّق بحروف المعاني بما تتضمنه من قوى إنجازية تحدّدها السياقات المناسبة كالعرض والتوبيخ والزجر...وغيرها23 .

لم يقف النحاة في دراستهم للفظ عند حدود الجملة بل تجاوزوها إلى ما يفوقها بحكم

أنّ هدفهم الأسمى فهم القرآن الكريم باعتباره نصا متكاملا ؛ فلجأوا إلى إبراز أغراض المتكلم التي ينوي إبلاغها للسامع كوسيلة هامة في التقعيد النحوي ، وتوسّلوا بشتى العناصر التي تتكفّل بإنتاج الخطاب سواء أكانت لغوية أم غير لغوية وسلكوا طريق المعنى في تأديتهم ، فالمعنى عندهم يتبوأ مكانة عالية ، وما تقدّم الألفاظ إلاّ تعبيرا عنه ، ولعلّ الإشارات المبثوثة في مؤلفاتهم توحي بمقدار أهمية ربط اللغة بمستعمليها ، ومن ثمّ اختيار العبارة المناسبة على هدي الظروف والملابسات. لقد أسس النحاة قواعدهم بمراعاة حصول الفائدة لدى المخاطب وتطبيق مبدإ أمن اللبس في أداء التركيب دون أن يعتريه (التركيب) إشكال أو غموض من شأنه أن يذهب بأغراض العرب ومقاصدها في الكلام ، كما سعوا إلى طرد وشمولية تلك القواعد ليتسنى لهم الإحاطة بما في اللغة من ظواهر لئلاّ يعرض إليها الفساد ، فكان تصوّرهم للعلاقة القائمة بين ما نطقت به العرب وما أرادته من العلل والأغراض والمقاصد المنسوبة إليها الأساسَ الذي يُبنى عليه التقعيد.[24]

وخلاصة ما انتهى إليه " أن التداولية بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية كسياق الحال، وغرض المتكلم، وإفادة السامع ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب ومفهوم الأفعال الكلامية يمكن أن تكون أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى مناحيه ومفتاحا من مفاتيح فهمه".[25]،وتميز البحث بهذا الحشد المنوع لصنوف المعرفة التي تضمنتها قائمة مصادره العربية والأجنبية التي ضمها مسرد تضمن[26]،عنوانا منها كتب قديمة وحديثة ومنها مقالات في دوريات محكمة.

إن حاجة الدرس اللغوي الحديث إلى تحديث مباحثه ومناهجه، تتطلب تزويد الباحثين بمثل هذا الكتاب الذي جمع بين أصالة الموضوع ودقة المنهج وثقافة الكاتب ووضوح رؤيته.

5–خاتمة:

يقع مفهوم الأفعال الكلامية في موقع متميز من هذا المذهب اللساني الجديد في تصوّر المعاصرين ويشكّل جزءا أساسيا من بنيته النظرية،بتصريح العلماء الغربيين المؤسسين للتداوليين أنفسهم وقد أضحى نواة مركزية لكثير من البحوث التداولية،وعليه فإنّ البحث في هذا الموضوع هو بحث في مضغة الاهتمام الأولى للتداولية اللغوية وأساس من أكبر أسسها،ويرى المتوكل أنّ تطبيق هذا المفهوم على كثير من اللغات الغربية،واستثمار ما انبثق عنه من تصورات ومبادئ إجرائية وظيفيّة أثّرت بقوة وعمق في مسار الدّراسات اللسانية،قد حقّق نجاحا في وصفها وفي رصد خضائصها التداولية.

إن اعتماد المنهج التداولي وتوظيفه في قراءة التراث العربي،ولاسيّما مفهوم الأفعال الكلامية،يكون كفيلا بأن يفتح نافذة جديدة على هذا التراث العظيم ويوّسع من آفاق رؤيتنا له وإدراكنا لخصائصه الإبستمولوجية والمنهجية،والتي تجعل منه منظومة مستقلّة ومتكاملة في سيّاق تاريخي معيّن،ويتمثل المنهج التداولي في تصوّر مسعود صحراوي في تلك الأسس والمبادئ والمفاهيم الإجرائية التي اعتمدها كثير من علمائنا القدامى ونحاتنا وبلاغيينا–صراحة أو ضمنا–في دراسة اللغة العربية ورصد خصائصها،ونذكر منها على الخصوص مفهوم الفعل الكلامي وما يتعلّق به من مفاهيم ومبادئ إجرائية أهمّها: مراعاة سياق الحال،والغرض الذي يريده المتكلّم من كلامه،والفائدة التي يجنيها المخاطَب من الخطاب.

والخلاصة عند صحراوي أنّ الأصوليين والفقهاء هم دارسون لنصوص شرعية،وهذه النصوص هي نصوص عربية،فكان من اللائق أن تكون الاعتبارات

اللغوية هي المدخل المناسب لتلك الدراسات،وكان ذلك داعيا لهم إلى انتحاء منحى دراسي متجه إلى المعنى والغرض، حتى يحققوا غاياتهم الدراسية،نسميه بلغة عصرنا:"المنحى التداولي"والذي كان أكثر استجابة لطبيعة النص المدروس ولغرضهم العلمي من وراء الدراسة،فعالجوا أساليب النصوص الدّينية ومعانيها علاجا تداوليا،مستثمرين بعض الظواهر والمفاهيم التي لم تتمكن اللسانيات التداولية وفلسفة اللغة من بلورتها إلا حديثا،ودرسوا ضمن-نظرية الخبر والإنشاء- ظاهرة الأفعال الكلامية واستنبطوا —عبر الجمع بين المنطلقات والمفاهيم النظرية من جهة والنصوص التطبيقية من جهة أخرى-أفعالا كلامية جديدة من الأساليب الخبرية أهمها:الرواية والشهادة،الوعد والوعيد،والدعوى والإقرار،والكذب والخلف...واستنبطوا أفعالا كلامية أخرى من الأساليب الإنشائية أهمها:الإذن والمنع،والندب،والإباحة والتخيير،والتعجيب وألفاظ العقود والمعاهدات والإيقاعات ودرسوا أسلوب الاستفهام ومعانيه دراسية معمقة واستنبطوا منه فروعا مهمّة من الأفعال الكلامية (منها على الخصوص:التقرير،الإنكار الإبطالي،الإنكار الحقيقي)واعتدّوا بمبدأ الغرض من كلام المتكلّم وقصده أيّما اعتماد وفضلوه على الصيغة إذا طرأ عليها ما يخلّ بأدائها الإيجازي،فالعبرة عندهم بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني،وقد اعتبرنا كل هذه الظواهر الجديدة،أفعالا كلامية منبثقة عن الكلّيات الأصلية،طالما أنها ترمي إلى صناعة أفعال ومواقف وسلوكيات اجتماعية أو مؤسساتي بالكلمات.

6-الإحالات والهوامش:

[1]:علي أحمد مدكور،تدريس فنون اللغة العربية،دار الشروق،ص27.

[2]: عبد الله العلايلي، المقدمة اللغوية ، تقديم أسعد أحمد علي،ط3، دار السؤال للطباعة والنّشر بدمشق، ص41.

[3]: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة،دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة،ص 25.

[4]: ينظر:محمود عكاشة،النظرية البراغماتية اللسانية(التداولية)"دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"،مكتبة الآداب–القاهرة–،ص4.

[5]: المرجع السابق،ص3–4.

[6]:مُحَمَّد مفتاح،في سيمياء الشعر القديم،دار الثقافة،الدار البيضاء،الطبعة الأولى1989م.

[7]:جميل حمداوي،التداوليات وتحليل الخطاب،شبكة الألوكة،ص42.

[8]:حازم القرطاجني،منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تونس،ط1966م.

[9]:مُحَمَّد مفتاح، مرجع سابق،ص138.

[10]:جميل حمداوي،مرجع سابق،ص42.

[11]:مُحَمَّد خطابي،لسانيات النص،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،الطبعة الأولى1991م

[12]:عبد الهادي بن ظافر الهشري،استراتيجية الخطاب،دار الكتاب الجديدة المتحدّة،بيروت لبنان،الطبعة الأولى2004م.

[13]:جميل حمداوي،مرجع سابق،ص43.

[14]:مسعود صحراوي،التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطبعة بيروت–

[15]:المرجع نفسه،ص17.

[16]:المرجع نفسه،ص5–12.

[17]:المرجع نفسه،ص222–227.

[18]:المرجع نفسه،ص13–46.

[19]: المرجع نفسه،ص47–84.

[20]: المرجع نفسه،ص85–128.

[21]: المرجع نفسه،ص129–172.

[22]: المرجع نفسه،ص173–218.

[23]:

[24]:عائشة برارات،قراءة في كتاب التداولية عند العلماء العرب

walmansour@alyaum.com،

[25]: المرجع نفسه،ص226.

[26]: المرجع نفسه،ص139.

7-مكتبة البحث:

علي أحمد مدكور،تدريس فنون اللغة العربية،دار الشروق.

عبد الله العلايلي، المقدمة اللغوية ، تقديم أسعد أحمد علي،ط3، دار السؤال للطباعة والنّشر بدمشق.

محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة،دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة.

ينظر:محمود عكاشة،النظرية البراغماتية اللسانية(التداولية)"دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"،مكتبة الآداب-القاهرة-.

مُحَمَّد مفتاح،في سيمياء الشعر القديم،دار الثقافة،الدار البيضاء،الطبعة الأولى1989م.

جميل حمداوي،التداوليات وتحليل الخطاب،شبكة الألوكة..

حازم القرطاجني،منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تونس،ط1966م.

مُحَمَّد خطابي،لسانيات النص،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب،الطبعة الأولى1991م

عبد الهادي بن ظافر الهشري،استراتيجية الخطاب،دار الكتاب الجديدة المتحدّة،بيروت لبنان،الطبعة الأولى2004م.

مسعود صحراوي،التداولية عند العلماء العرب،دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي،دار الطبعة بيروت-.

عائشة برارات،قراءة في كتاب التداولية عند العلماء العرب

walmansour@alyaum.com،